القبائل بنصوص المشتركة — كما قال الفارابى — فى الغريب والإعراب والتصريف ، فلم يكن له نتيجة إلا قصور معرفتنا الآن باللهجات العربية فى عصر الاستشهاد ، وإلا ذلك الاضطراب الذى نعانى منه الآن فى كتب مسائل النحو .

٣ — مدى صحة المفاضلة بين اللغات بالاستحسان والاستهجان

ينبغى بيان الآتى :

(ا) لا تفضيل بين اللغات أو اللهجات من وجهة النظر الحديثة

(ب) مناقشة موقف النحاة من هذا الموضوع

(ج) الرأى فى النصوص التى حدثت المفاضلة فيها وما بنى عليها من آراء

إن مهمة الباحث فى اللغة أن يصف ما أمامه فقط ، فيستقرئه دون أن يتجاوز ذلك إلى وصفه بالجودة أو الرداءة ، فإذا كانت الظاهرة المستقرأة مطردة ذكر ذلك ، وإذا تفرد عنها بعض الأمثلة ذكرها أيضا بحياد وموضوعية — ولنأخذ نموذجا من الأشمونى يوضح هذه الطريقة :

قال بعد شرح قول ابن مالك فى جمع التكسير :

وفَعْلاً اسما وفعيلا وفَعَل غير مُعتَلّ العين مُفعْلانٌ شمل

مما يحفظ فيه (مُفعْلان) فاعل : كحاجز وحجزان ، وأفعل فعلاء : كأسود وسودان وأعمى وعميان ، ومُفعَال كحوار وحوران وزقاق وزقان ، وفَعْلَة كقضفة وقضفان ، وفَعُول كقعود وقعدان (١) .

فقد دل استقراء النحاة للفصحى على اطراد الجمع على (فعلان) فيما ذكره ابن مالك ، وتفرد عن ذلك بعض الأمثلة ساقها الأشمونى دون حكم عليها بالجودة أو الرداءة — وهذه طريقة صحيحة .

---

(١) انظر : شرح الأشمونى ج ٤ ص ١٣٨ .